20120414-0005-12

«أهالي المفقودين»: المرور ممنوع

سعت أمهات المفقودين في اعتصامهن أمس في ساحة رياض الصلح إلى تسليم مشروع «قانون الأشخاص المفقودين والمنفيين قسراً» إلى النواب (بلال قبلان)

الطريق إلى ساحة رياض الصلح من ناحية السرايا الحكومية مقطوع بالعوائق الحديد. عنصر قوى الأمن الداخلي فخور بالمهمة الموكلة إليه. كلما رفع راحة يده مشيراً إلى أحد ما بالتوقف نفخ صدره. مرور السيارات ممنوع. نزولاً تجاه الساحة تظهر كثافة العناصر الأمنية من قوى أمن داخلي و«فهود» وجيش. أعدادهم الكبيرة لا تتناسب مع يوم الجمعة الحزين والهادئ هذا. عناصر «الفهود» ببذاتهم العسكرية الكحلية يمازحون بعضهم البعض مزاحاً بذيئاً تحت سماء زرقاء صافية تشقها طائرتان حربيتان إسرائيليتان بخطين أبيضين.

يشبك أسعد الشفتري يديه خلف ظهره ويتفرّج. لا يترك المقاتل السابق في الحرب اللبنانية فرصة للتكفير إلا ويحضر فيها. لعلّ الثالث عشر من نيسان، ذكرى إطلاق النار على «بوسطة» عين الرمانة الشهيرة، أهمها. فهو «التاريخ» الرسمي الذي توافق اللبنانيون على جعله ميلاداً لحروبهم السابقة.. والمستمرة.

تحت تمثال رياض الصلح يتجمع المتضامنون ويوقعون لافتة كبيرة تطالب بتبني مشروع «قانون الأشخاص المفقودين والمنفيين قسراً».

«إلى مجلس النواب»، يعلو فجأة صوت هادر. تتبعه همهمات نسوة. على عجل تتجمع أمهات المفقودين مع إطارات صور الأحبة السوداء والبيضاء. يتكاتفن وينطلقن تجاه الناحية الثانية من الشارع لجهة مجلس النواب. بسرعة يرفع العسكريون خلف العوائق من تأهبهم. المرور ممنوع. يصرخ شاب: «هؤلاء ليسوا لصوصاً». يتوقف السير نهائياً. تشرح الأمهات أنهن يرغبن بتسليم مشروع القانون إلى نواب الأمة. فيرد ضابط برتبة مقدم في قوى الأمن الداخلي بتهذيب أن المجلس مغلق «لأنه يوم عطلة». تصرّ فاطمة عبدو، والدة المفقودَين غسان وفادي، على المرور عبر العوائق. تستغرب رفض القوى الأمنية. تقول بشفتيها المرتجفتين إنه طالما أن المجلس فارغ «نقعد بالقرب منه على الأرض». يرتفع صوت غاضب من بين الجموع: «فليرانا الوزراء والنواب الخونة. صار عمر الخيمة سبع سنوات». والمقصود خيمة اعتصام أهالي المفقودين في حديقة جبران.

يصرخ مشارك آخر بأعلى صوته: «يا نواب ويا وزراء وينكن؟». فتجيبه إحدى الأمهات، بعفوية، وعلى القافية نفسها: «قاعدين ببيتكن!». لتبدأ اللازمة التالية: «برلمان برلمين؟ برلمان النصابين. برلمان المجرمين. برلمان السفاحين. برلمان الخاطفين. برلمان برلمين؟».

صراخ الشبان الداعم بعث ارتياحاً في نفوس الأمهات. هذه واحدة من المرات النادرة التي لا يشعرن فيها أنهن لوحدهن في النشاطات التي ينظمنها. لكن لمرة واحدة وأخيرة: الوصول إلى ساحة مجلس النواب ممنوع.

تتفكك كتلة الأمهات تباعاً. لا أمل إذا في اختراق جموع العسكر والحواجز الحديد. فيتوزعن في نواح عدة. عدسات الإعلام مأخوذة بتوثيق الدموع وكثير الغضب في الوجوه. العدسات بحاجة إلى هذه اللقطات في هكذا مناسبة. فالقضايا نفسها باتت تحتاج إلى تواريخ محددة للتذكير بها في البلد الذي يفيض بتراكم الحقوق الضائعة. أعلام حمراء وبيضاء بدأت تلوح في الأفق الآن. لناحية مجاورة لتمثال رياض الصلح اعتصام للإفراج عن معتقلي الرأي في البحرين بدأ بالتشكل. الساحة باتت الآن مساحة لاعتصامين. توقيت واحد يعتقد الكثير من الحاضرين هنا أنه «مشبوه» من أجل إرباك الناشطين.

اقتراح مشروع «قانون الأشخاص المفقودين والمخفيين قسرا» الذي يرفعه الأهالي هو نتيجة مساهمة مجموعة واسعة من الاختصاصيين والحقوقيين والقضاة والناشطين المحليين والدوليين، بالإضافة إلى المنظمات غير الحكومية المحلية والدولية التي رافقت سير عملية وضع النص القانوني، الذي أعده المحامي نزار صاغية بناء على طلب من «لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان» و«سوليد».

تقرأ وداد حلواني بيان لجان الأهالي. تذكر بثلاث لجان وهيئات للاستقصاء والشكاوى شكلتها الحكومات المتعاقبة كانت نتيجتها صفراً. «المحاولات» الثلاث لم تؤد إلى كشف مصير مفقود واحد. لذلك طالبت النواب، باسم اللجان، تبني هذا المشروع وإقراره ليصبح قانوناً.

قرب تمثال رياض الصلح تزيد القوى الأمنية عوائقها. يصبح المعتصمون عالقين في حلقة حديد شبه مغلقة. حلقة تشبه تلك التي علقوا بها عند اختطاف ذويهم ومازالوا.

يوسف حاج علي

السفير ١٤-٤-٢٠١٢